ذِكر وصف ومحتوى كتاب "
أخبار ملوك بني عبيد" لابن حمّاد الصّنهاجي (ت 628 هـ/ 1231م) (*)

✍ د/ نشيدة رافعي
أستاذة محاضرة بقسم التاريخ
جامعة الجزائر 2.

الملخّص:

يُعدّ كتاب "أخبار ملوك بني عبيد" الذي تم تأليفه سنة (617هـ/1220م)، من بين أشهر مؤلّفات أبي عبد الله محمّد بن علي بن حمّاد الصّنهاجي، وقد قُمت في هذا البحث بوصف النّسخ المخطوطة التي تحصّلتُ عليها، وبيّنتُ أماكن تواجدها، وكيفيّة تحصّلي عليها، ثمّ تحدّثتُ عن محتوى المخطوط، فناقشتُ بعض آراء المؤرّخين والباحثين في إثبات عنوانه، وتطرّقتُ إلى أسباب تأليفه، ومتى كان ذلك، وفصّلتُ في ما يحتويه من معلومات، وقد كنتُ قد تناولته بالدّراسة في رسالتي لنيل دبلوم الدّراسات المعمّقة في التّاريخ الإسلامي، تحت عنوان: "**ابن حمّاد الصّنهاجي وأخبار ملوك بني عبيد دراسة نقديّة وتحقيق جديد**"، إشراف الدّكتور: موسى لقبال رحمه الله.

Résumé :

La chronique « Akhbār mulūk banū ‘Ubayd » écrite l’année (617/1220) est l’une des plus célèbres œuvres d’Ibn Hammād as-Sanhāği, nous avons essayé dans cet article de décrire les différents manuscrits de cette chronique que nous avons pu nous procurer et préciser les bibliothèques où ils ont été conservés.

Nous avons ensuite parlé du contenu de ce manuscrit et les différents titres mentionnés par les historiens et les chercheurs, comme nous avons invoqué les raisons de sa réalisation et son époque, et avons donné une étude détaillés des différentes informations qu’il contient.

Ce manuscrit a été le sujet de notre recherche de thèse de DEA, Intitulée : « Ibn Hammād as-Sanhāği et son ouvrage Akhbār mulūk banū ‘Ubayd. Etude critique et analytique».

وصف نُسخ المخطوط:

بين يدّيّ الآن، خمس نسخ من مخطوط "أخبار ملوك بني عبيد"[1]، نسخة المكتبة الوطنيّة بالجزائر، وتحمل رقم 1588، وأربع نسخ من المكتبة الوطنيّة بباريس اكتشفتها بعد البحث والتّنقيب والمراسلة مع المكتبات العربيّة والأجنبيّة [2].

أثناء دراسة فوندرهايدن لكتاب "أخبار ملوك بني عبيد"، اعتمد على نسختين فقط: نسخة الجزائر، ونسخة في المكتبة الوطنيّة بباريس، وهي التي تحمل رقم 1888،2456) (Supplément Arabe، وقال: « بأنّه بحث على النّسخ التي كان يملكها شربونو[3]، لكنّه لم يعثر عليها»[4].

أمّا الآن، وبعد البحث والمراسلة دائما، فأنا أعرف بأنّ شربونو باعها إلى المكتبة الوطنيّة بباريس[5]، وعليه استطعتُ أن أستفيد منها كلّها.

إذًا، فبقية النّسخ الأخرى هي أيضا من المكتبة الوطنيّة بباريس وهي:

- نسخة تحمل رقم: 4617 (Supplément Arabe 2457).
- نسخة تحمل رقم: 4615 (Supplément Arabe 2480).
- نسخة تحمل رقم: 4625 (Supplément Arabe 2458).

و قد أخذتُ صورة على الورق لنسخة المكتبة الوطنيّة بالجزائر في عين المكان، أمّا النّسخ الأخرى، فقد تحصلت على صورها أيضا بعد المراسلة والاتّصال، وتمّ ذلك بعد جهد جهيد.

أوّلا: نسخة المكتبة الوطنيّة بالجزائر:

هذه النّسخة التي توجد تحت رقم 1588، ضمن مجموع في مجلّد صغير مغلّف بورق مقوّى قسطليّ اللّون، تضمّن نصّ ابن حمّاد 94 ورقة، تشتمل كلّ ورقة منها على ثمانية عشر سطرا، ما عدا الورقة الأخيرة ففيها أربعة

عشر سطرا فقط، ويبدأ النّص من ورقة 10 ضمن هذا المجموع، استعمل في كتابته الصّمغ الأسود وكتب بخطّ مغربيّ نسخيّ.

مسطرته: 17,9 سم × 11,4 سم.

و مظهر الكتابة طبيعيّ، ليس فيه أيّ تلوين أو زخرفة، كلّ باب جديد يبدأ بكتابة بارزة ظاهرة لاسم الخليفة.

و أبواب الكتاب أربعة عشر بابا، حسب عدد الخلفاء الفاطميّين، وهي تختلف من حيث القِصر والطّول ومن حيث الأهمّيّة، مع مقدّمة وجيزة وخاتمة.

و قد خُتِمَتْ هذه المخطوطة بالعبارة التّالية:

«و كان الفراغ من نسختها يوم الجمعة أوائل ذي الحجّة عام 1265هـ/ 1848م»، (أي بعد وفاة المُؤلّف بحوالي 637 سنة).

و يلاحظ:

– أنّ ناسخ المخطوط لم يذكر اسمه، كما لم يذكر مكان النّسخ أيضا ولا توجد تعاليق في الجوانب، لكن هناك تصحيحات في الهوامش، مثلا في الورقتين 10 و16 ... لأنّ النّاسخ صرّح بقوله: « وفي الأصل تحريف كثير لأنّ ناسخها وجد بالأصل تحريفا كثيرا ونبّه عليه...».

– ورمزتُ لهذه النّسخة بحرف – أ – وهي التي اعتبرتُها أصلا، وباشرت التّحقيق اعتمادا عليها للأسباب التّالية:

1– لأنّها أقدم نَسْخا من غيرها، إذ نُسِخَت سنة 1265هـ/ 1848م.

2– وتميّزت أيضا بأنّها أكمل صُور المخطوط نسبيّا.

3– وكُتِبَت بخطّ واضح وجميل، وهذا على الرّغم من أنّها لم تتضمّن اسم النّاسخ ولا مكان النّسخ كما أشرت.

و يتضمّن المجموع فضلا عن كتاب: "أخبار ملوك بني عبيد":

– نصّا عن حنظلة بن صفوان، وخالد بن سنان العبسي من كتاب الدّيار (ورقات 2– 6).

– وقائمة لبني جلاّب أمراء توقرت منذ عهد سليمان إلى الشّيخ علي (ورقات 7– 9).

– ونصّا آخر من كتاب أعمال الأعلام، لابن الخطيب السّليماني، عن ملوك بني حمّاد الصّنهاجيّين، (ورقات 105– 112).

و قد نشر رابح بونار هذا النّصّ فقال: «هذا النبذة من تاريخ بني حمّاد، اقتطعت من كتاب لابن الخطيب لا نعرف ما هو، وهو يقع ضمن مخطوطة تحمل رقم 1588 من ورقة 106»[6].

و أُلاحظ، أنّ رابح بونار قد شكّك في مصدر النّصّ، وفي أن يكون من كتاب "أعمال الأعلام"، أو غيره، لكنّه وبكلّ تأكيد وبسبب ما وضّحه فانيان[7]، ونتيجة لمقارنته بكتاب "أعمال الأعلام" ظهر أنّه منه.

فقد وجدت في نفس المجلّة، وبنفس العدد، أنّ باحثا آخر قد اقتطف نبذا عن بجاية من المصادر، ومنها كتاب "أعمال الأعلام"، وبمقارنته بما جاء في نصّ المخطوط، مع ما في المقتطفات حول "دولة المنصور بن علناس"[8] مثلا، اتّضح أنّهما نصّ واحد من مصدر واحد هو كتاب "أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلّق بذلك من الكلام"[9].

ثانيا: نسخ المكتبة الوطنيّة بباريس:

1. نسخة (ب):

هذه المخطوطة توجد تحت رقم 4614 (Supplément Arabe 2457) كما سبق، وتتضمّن 100 ورقة، وهي ضمن مجموع[10] عدد أوراقه: 138 ورقة، كلّ ورقة من المخطوط تشتمل على ثمانية عشر سطرا، إلاّ الورقة الأخيرة ففيها أربعة عشر سطرا فقط، استعمل في كتابتها الصّمغ الأسود، وكُتِبت بخطّ مغربي نسخي واضح يشبه خطّ نسخة الجزائر.

و مسطرتها 10,6 سم× 7,2 سم، ومظهر الكتابة طبيعي ليس فيه أي تلوين أو زخرفة، إلاّ أنّ هناك تمييزا للأبواب بخطّ بارز ومُلوّن، مع بادية أخبار كلّ خليفة فاطميّ، أمّا أبواب الكتاب، فهي أربعة عشر بابا، تختلف من حيث القِصر والطّول، مع مقدّمة وجيزة وخاتمة.

ابتدأ المخطوط بالعبارة التّالية، بعد البسملة: «قال الشّيخ الفقيه الأعلم الأعرف الأوحد القاضي أبو عبد الله محمّد بن علي بن حمّاد، رضي الله عنه»، وكان هذا بخطّ بارز وكبير، وبنفس الخطّ خُتِم المخطوط بالعبارة التّالية: «هذا تأليف في أخبار بني عبيد وسيرتهم»، بحيث لم يذكر هنا لا مكان النّسخ، ولا اسم النّاسخ، لكن تاريخ النّسخ جاء في ورقة منفردة، وهو 13 أكتوبر 1884م (1302هـ)، أي بعد وفاة المُؤلّف بحوالي 674 سنة، وقد رمزتُ إلى هذه النّسخة بحرف (ب) [11].

2. نسخة (ج):

و هذه الأخرى نسخة من المخطوط توجد في المكتبة الوطنيّة تحت (Arabe 24584625 (Supplément، وقد كانت من بين مخلّفات شربونو، لأنّ عليها إمضاءه الشّخصي، وتضمّنت 26 ورقة، وهي ضمن مجموع[12]، عدد أوراقه 91 ورقة (Volume de 91 feuillets).

ومسطرة كلّ ورقة 21,4× 15,8 سم، وتشتمل كلّ ورقة على 18 سطرا ما عدا الأولى، ففيها 17 سطرا، والأخيرة منها فيها 9 سطور فقط.

استعمل في كتابتها الصّمغ الأسود، وكُتِبت بخطّ مغربي نسخي أيضا، لكنّه يختلف عن الخطوط التي كُتِبت بها نسخة (أ) و(ب).

يعتبر هذا الخطّ جميلا وإن كان دقيقا جدّا لا تكاد تُميّز حروفه، ومظهر الكتابة طبيعي لا يظهر فيه أي تلوين أو زخرفة، إلاّ في بعض الأحيان، حيث نجد خطا بارزا وغليظا وملوّنا، ويعني الانتقال إلى باب جديد، أي إلى أخبار خليفة فاطمي آخر، وأبواب الكتاب 14 بابا، تختلف من حيث القِصر والطّول،

مع مقدّمة وجيزة وخاتمة، وقد ابتدأ المخطوط بالعبارة التي بُدئ بها في النّسخ الأخرى السّابقة، لكنّه لم ينته كما انتهت النّسخ السّابقة لأنّ النّاسخ لم يذكر تاريخ النّسخ في الأخير، وإنّما قال: «تمّ الكتاب بحمد الله وحُسن عونه وتوفيقه الجميل»، أمّا تاريخ النّسخ فجاء في ورقة منفردة، وهو: أربعة وسبعون ومائتان وألف، أي (1274هـ/ 1857م).

كما تضمّن المخطوط تاريخ دخوله إلى حيازة المكتبة الوطنيّة بباريس، وهو 13 أكتوبر 1884م، ويبدو أنّه نُسِخ بعد وفاة المُؤلّف بحوالي 646 سنة، وقد رمزتُ إلى هذه النّسخة بحرف (ج).

3. نسخة (د):

هذه الأخرى مصدرها المكتبة الوطنيّة بباريس، تحمل رقم 1888 .(Suppl Arabe 2456)، وهي التي اعتمدها فوندرهايدن أثناء عمله كما سبق الكلام، وتتضمّن 33 ورقة تشتمل كلّ ورقة على 36 سطرا، إلاّ الورقة الأولى فتشتمل على 32 سطرا فقط، والأخيرة على 8 سطور، استعمل في كتابتها الصّمغ الأسود وكُتِبَت بخطّ مغربي نسخي جميل، لكنّه دقيق، ومسطرة كلّ ورقة 19,2× 13,6 سم، ومظهر الكتابة طبيعي ليس فيه أي زخرفة ولا تلوين ولا تمييز للأبواب بأسطر أو عناوين ظاهرة أو كتابة بارزة، أمّا عن أبوابه فهي نفس ما جاءت في المخطوطات السّابقة، وبداية المخطوط هي:

بعد البسملة كانت بعبارة: «قال الشّيخ الفقيه الأعلم الأوحد ... رحمه الله تعالى»، مثلما كان ذلك في النّسخ الأخرى، وانتهى بهذه العبارة: «انتهت كتابته يوم التّاسع عشر من شهر جوان سنة ألف وثمانماية وثمانية وستّين، وفي الأصل المنسوخ منه تصحيف كثير كما ذكر النّاقل»، ثمّ جاء بعنوان الكتاب آخر المخطوط، إذ لم يذكر السّنة الهجريّة، وهي 1285هـ/ 19 جوان 1869م، وهو بذلك قد كتب بعد وفاة المؤلّف بحوالي 654 سنة، وألاحظ أنّ اسم النّاسخ ومكان النّسخ غير موجودين، لكنّ المخطوط دخل في حوزة

المكتبة الوطنيّة بباريس، بتاريخ 13 أكتوبر 1884م، ورمزت إلى هذه النّسخة بحرف (د).

4. نسخة (هـ):

و هذه النّسخة الأخيرة من نسخ المخطوط، مصدرها أيضا المكتبة الوطنيّة بباريس، تحمل رقم 4615، (Supplément Arabe 2480)، وتتضمّن حسب ما هو مكتوب أوّل المخطوط 55 ورقة (Volume de 55 Feuillets)، وهي في مجلّد مستقل، ويبدو لأنّها النّسخة الثّالثة التي كانت في حوزة المستشرق شاربونو نقلت له عن أصل كان يوجد في الجزائر.

تشتمل كلّ ورقة على 28 سطرا، إلاّ الأخيرة ففيها 10 سطور فقط، استعمل في كتابتها الصّمغ الأسود وكُتبت بخطّ مغربي نسخي كبير وجميل.

و مسطرتها 26,3 سم× 20,4 سم، أمّا عناوين الأبواب فمميّزة في هذا المخطوط، فيذكر اسم كلّ خليفة بكتابة بارزة ملوّنة كما يلاحظ محو بعض الكلمات.

وأبواب الكتاب هي نفس ما جاءت في النّسخ السّابقة، ويبدأ المخطوط بالعبارة التي جاءت في المخطوطات الأخرى، وينتهي بهذه العبارة: « نُقل من النّظير بمدينة الجزائر وتمّ كتبه يوم الأربعاء الذي هو الحادي والعشرين من صفر سنة 1299 هجريّة الموافق لليوم الحادي عشر من جانفي 1882 مسيحيّة».

ومكان النّسخ هنا مذكور، وإن لم يذكر اسم النّاسخ، إذ كُتبت هذه النّسخة بعد وفاة المؤلّف بحوالي 671 سنة، أي أنها أحدث النّسخ الموجودة تحت حوزتي، ورمزت إليها بحرف (هـ).

وننتقل الآن إلى التساؤل: ما هو محتوى "أخبار ملوك بني عبيد"؟.

ب. محتوى مخطوط أخبار ملوك بني عبيد:

1. عنوانه ولماذا؟

اختلف المؤرّخون حول صورة عنوان الكتاب، فهناك جماعة منهم اكتفت بالقول بأنّ لابن حمّاد: "تاريخا لبني عبيد" (Une histoire des Obeidides)، وكتب العنوان على هذه الصّورة: المستشرق ليفي بروفنسال[13]، والمؤرّخ روجي إدريس[14]، وفي تاريخ الأدب لكارل بروكلمان[15].

أمّا الزّركلي[16] ومحقّق كتاب "عنوان الدّراية"[17]، فكتبا العنوان على الصّورة: "أخبار ملوك بني عبيد".

أمّا عبد الرّحمن الجيلالي، فقد أضاف للعنوان، وهذا بين شرطتين كلمة – الفاطميّين–[18]، أمّا فنيان فكتب "أخبار ملوك بني عبيد"[19]، واكتفى جلّول بدوي بعنوان "أخبار بني عبيد"[20].

و لاحظتُ، أنّ عنوان الكتاب لم يُرسم على صورة واحدة، حتّى في المخطوطات الخمس التي حصلت عليها.

– جاء عنوان مخطوط المكتبة الوطنيّة بالجزائر على هذا الشّكل: «هذه جملة من [أخبار] ملوك بني عبيد»[21].

وهو نفس ما جاء في مخطوط المكتبة الوطنيّة بباريس، لكنّه ترجم للّغة الفرنسيّة هكذا: "تاريخ حول أسرة بني عبيد لابن حمّاد"، (Histoire sur la dynastie des Obeidites sur Ibn Hammad).

وحسب الإمضاء، يظهر أنّ هذا كان من طرف المستشرق شربونو[22].

ويمكنني أن أُضيف، أنّ شربونو لمّا لاحظ بأنّه يملك نُسختين من هذا المخطوط، لم يذكر عنوانه الكامل، حتّى في ترجمة النّصّين الذين قام بهما اقتباسا من هاتين النّسختين، واكتفى بقوله: «هذا مترجم من أخبار ابن حمّاد»، ثمّ أضاف باللّغة العربيّة: «تاريخ ابن حمّاد»[23]، وهذا هو نفس ما سلكه عند ترجمته لنصّ عن ثورة أبي يزيد من نفس المخطوط[24].

أمّا الصّورة الثّانية التي عثرت عليها لعنوان الكتاب، فهي:«هذا التّأليف، في أخبار بني عبيد وسيرتهم ومدتهم»[25]، وهذا يشبه العنوان الذي جاء به فوندرهايدن: «أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم»[26]، وأخيرا، عثرت على هذه الصّورة: "سيرة ملوك بني عبيد"[27]، وبدوري، استعملتُ في بحثي العنوان الذي تضمّنه مخطوط المكتبة الوطنيّة بالجزائر، الذي ميّزته عن غيره، واعتبرتُه أصلا صحّحت به بقيّة المخطوطات.

أمّا الآن، فإنّني أتساءل أيضا: لماذا استقرّ ابن حمّاد على هذا العنوان لكتابه الذي تضمّن تسمية الفاطميّين بالملوك التي قد تُشير إلى الاستبداد والطّغيان والماديّة، بدلا من الخلفاء الفاطميّين، أو الأئمّة التي تشير إلى المعاني الدّينيّة والرّوحيّة.

كما أنّ كلمة عبيد بالتّصغير، قد تُشير إلى التّحقير أيضا، هذا فضلا عمّا قد تُشير إليه نسبتهم إلى أوّل خليفة فيهم، وهو عبيد الله، وليس إلى فاطمة الزّهراء التي يحلو للفاطميّين التّعلّق بالانتساب إليها، فهم على حسب العنوان: بنو عبيد، ودولتهم عبيديّة كما تُسمّى عند مؤرّخي المغرب الإسلامي، أغلب الظّنّ أنّ ذلك كلّه كان من ابن حمّاد انسياقا وراء التّسمية التي جرى بها العرف عند جمهور المؤرّخين المغاربة، دون شعور بالتّحقير أو إنكار للنّسب العلوي للعبيديّين الفاطميّين.

و يبقى أن نعرف متى وأين ألّف هذا المخطوط؟

2. تاريخ تأليف الكتاب ومكانه:

عن هذا الموضوع، يمكنني أن أشير إلى ملاحظة جلبت انتباهي وهي: أنّ الغبريني في كتابه "عنوان الدّراية"، وفي ترجمة ابن حمّاد[28]، نراه يذكر كلّ مؤلّفاته ما عدا "أخبار ملوك بني عبيد"، رغم أهميّته واشتهاره، ويمكننا أن نلتمس له العذر لأنّ الكتاب لم يشتهر عند الغبريني، لأنّ مؤلّفه ابن حمّاد لم

يكتبه وهو في بجاية فيما يبدو، وإنّما كتبه أثناء وجوده في الأندلس أو المغرب الأقصى[29].

علاوة على هذا لاحظتُ سابقا بأنّ فانيان أضاف إلى عنوان الكتاب سنة 617هـ/ 1220م، وهو تاريخ ذَكره ابن حمّاد نفسه في آخر كتابه بقوله: «وتتبع بني عبيد ممّن عثر عليه سجنوه بدار القاهرة وبقيّتهم فيها إلى اليوم، وهو سنة 617 هـ/ 1220م»[30].

لذلك يحقّ لنا أن نتساءل متى، وأين ألّف ابن حمّاد كتابه "أخبار ملوك بني عبيد"؟

يمكنني أن أُلاحظ أنّ هذه السّنة، وهي 617هـ/1220م، ربّما لا تُشير فقط إلى تاريخ تأليف الكتاب، وإنّما إلى مكانه أيضا، لقد عثرت على حقائق تاريخيّة أشرت إليها سابقا[31]، وبرهنت على أنّ ابن حمّاد قد تولّى سنة 616هـ/ 1219م آخر وظيفة في حياته وهي قضاء مدينة أزمّور بأرض المغرب الأقصى، لذلك فالشّيء المحتمل هو أنّ ابن حمّاد سواء أثناء قضائه أو بعد أن تخلّص من الوظيفة الإداريّة، كان يجمع معلومات لكتابه "أخبار ملوك بني عبيد"، وقد ابتدأ جمعه وتأليفه في السّنة المذكورة 617هـ/ 1220م، سواء في أزمور –مركز قضائه– أو في مدينة مراكش التي استقر فيها بعد تخلّصه من قيود الوظيفة الإداريّة، وقد يرجّح ذلك أن عادة العلماء والعظماء أن يتفرّغوا لتدوين مذكّراتهم وملاحظاتهم وجمع قصاصاتهم وكتاباتهم عمّا عاشوه بعد خروجهم من الخدمة الحكوميّة، أي في جو الهدوء وعدم الالتزام، هذا هو الغالب، وقد يزدهرون أثناء ذلك فكريّا وعلميّا، ويُثرون الحياة الثّقافيّة والعلميّة مثل ابن حمّاد، وابن خلدون كذلك الذي ألّف مقدّمته المشهورة أثناء تفرّغه وعزلته في قلعة ابن سلامة بجوار فرندة ولاية تيارت الآن.

فهل اعتمد ابن حمّاد على خطّة مميّزة في هذا التّأليف؟

3. خطّة الكتاب:

لا يمكنني أن أستخرج خطّة واضحة ودقيقة من هذا الكتاب، فهو جملة من أخبار بني عبيد، كما سمّاه المُؤلّف، يتضمّن مقدّمة مختصرة جدّا، يعلّق شاربونو عنها قائلا: «إنّ المقدّمة الصّغيرة التي تتصدّر الكتاب لا تحدّد شيئا دقيقا، معينا سواء فيما يخصّ المؤلّف أو فيما يخصّ المصادر التي اعتمدها، بل إنه اقتصر على ذكر: أنّ حقائق هذا الكتاب بعضها اقتبس من الكتب، أمّا البعض الآخر منها فرواها له بعض المؤرّخين»[32].

وكذلك الأمر بالنّسبة للدّوافع التي حفزته على جمع أخبار الخلفاء الفاطميّين، إذ اكتفى في هذا الاتّجاه بقوله: "وقد دعاني إلى هذا التّأليف ما دعا المُؤلّفين المؤرّخين إلى أمثاله"[33].

4. موضوع المخطوط وأقسامه:

أمّا موضوع المخطوط، فهو جملة من أخبار الخلفاء الفاطميّين مرتبين ترتيبا زمنيّا، كلّ خليفة خصّه ابن حمّاد بباب مستقل، وأظنّ أنّه من الممكن أن أقسِّم المخطوط موضوعيّا إلى قسمين رئيسيين:

1). القسم الأوّل منه:

و هو تاريخ مجمل لأحداث الدّور المغربي للخلافة الفاطميّة، لأنّه يحتوي على أخبار الخلفاء الفاطميّين في المغرب، وهمّ:

- عبيد الله المهدي (297- 323هـ/ 909- 934م).
- محمّد القائم (323- 335هـ/ 934- 946م).
- إسماعيل المنصور (335- 342هـ/ 946- 953م).
- وأبو تميم المعزّ لدين الله (342- 365هـ/ 953- 975م)، وهذا قبل انتقاله إلى القاهرة.

و يظهر أنّ ابن حمّاد، قد أعطى لهذا القسم أهميّة كبيرة إذ اعتنى به كثيرا، فمعلوماته عنه كانت غزيرة وأكثر دقّة من القسم الثّاني، كما لاحظتُ

بأنّه في هذا القسم لم يشر إلى أي مصدر، سواء كان في شكل روايات شفهية أو مكتوبة مسجّلة.

و في هذا القسم أيضا، نلاحظ أنّ أطول باب فيه هو:

*** الباب الأوّل:**

و هو الخاص بالخليفة المؤسّس، وفي إطاره:

تحدّث ابن حمّاد عن عبيد الله، وهو في "دور السّتر"، وأشار إلى مشكلة النّسب، وإلى رحلته من المشرق إلى المغرب، وإلى الدّور الذي قام به داعيه أبو عبد الله الشّيعي في رحلته عندما ضمّ كتابه إلى جانبه وقضى على الأغالبة في رقادة.

أمّا الحديث عن عبيد الله، وهو في "دور الظّهور"، فأهمّ شيء جاء به في هذا القسم هو الدّور الذي قام به ابنه محمّد القائم من أجل فتح مصر، ثمّ من أجل إخماد الثّورات التي أشعلتها زناتة في النّواحي الغربيّة، وصنهاجة وكتامة في النّواحي الشّرقيّة من المغرب الإسلامي.

و من الأخبار الهامّة التي حفل بها هذا الباب، خبر انقطاع الحجّ في عهد الخليفة عبيد الله المهدي، بسب حملات سليمان بن الحسن القرمطي المعروف بأبي طاهر، والذي نزع الحجر الأسود من الكعبة، وهدّد الحجّاج وزرع الرّعب والهلع في النّفوس.

و من أهمّ ما تطرّق إليه ابن حمّاد من مشاكل الفاطميّين في هذا الباب، استخرجت: مشكلة النّسب الفاطميّ، ومشكلة ثورات زناته وكتانة، ثمّ مشكلة الانشقاق المذهبي الذي وقع في الصّفّ الإسماعيلي.

*** الباب الثّاني:**

فهو لا يقلّ أهميّة عن الأوّل رغم قصره النّسبي، بسبب أنّ المؤلّف أدمج قسما من أخبار الخليفة القائم في الباب الأوّل الخاصّ بعبيد الله.

و أهمّ ما جاء في هذا الباب، وصف لحياة أبي يزيد مخلد بن كيداد، وبداية استعداده للثّورة ضدّ الفاطميّين، حيث كوّن أتباعا وبدأ الدّعاية ضدّ بني عبيد.

*** الباب الثّالث:**

وهذا الباب هو الآخر كان طويلا، إذ جاء ابن حمّاد بوصف مفصّل وطويل جدّا لثورة أبي يزيد، وروى نصّ الخطبة التي عاهد فيها المنصور نفسه على مقاومة منافسه أبي يزيد مخلد بن كيداد، حتّى الانتصار النّهائي.

كما أتى بوصف دقيق للمعركة بكلّ جوانبها، ولكلّ المراحل التي مرّ بها الخليفة المنصور حتّى الانتصار الحاسم على عدوّه والتّمثيل به.

وقد أعقبه الاحتفال بالنّصر.

2). القسم الثّاني من المخطوط:

وهذا القسم خاصّ بباقي الخلفاء الفاطميّين في مصر، أي منذ انتقال الخليفة المغربي المعز لدين الله إلى القاهرة سنة 362هـ/ 972م[34]، إلى عهد الخليفة العاضد سنة (555– 567هـ/ 1160– 1171م)، آخر الخلفاء الفاطميّين بمصر.

فهو محاولة للتّأريخ للدّور المصري للدّولة الفاطميّة، وأطول باب في هذا القسم هو الخاصّ بأخبار المعز لدين الله، وأهمّ ما تضمّنه:

– خبر إخماد ثورة هوّارة بقايا أتباع أبي يزيد بجبل أوراس، وخبر فتح مصر على يد جوهر الصّقلّي، وأمان المعزّ لدين الله لأهل مصر في الرّيف والصّعيد، ووقعة القوم الأحمر ضدّ القرامطة، وحادث امتداد الحكم الفاطمي إلى بلاد الشّام، وهذا بواسطة القائد الكتامي جعفر بن فلاح نائب جوهر الصّقلّي.

– أخبار الحاكم:

أمّا الباب الخاصّ بأخبار الخليفة الحاكم (386– 411هـ/ 996– 1021م)، فهو آخر كان طويلا نسبيّا، إذ تضمّن جملة من الوقائع والأحداث، منها: وصف

شخصيّة الحاكم، ومعاملته للجرجرائي، وبناءاته المعماريّة مثل مسجد راشدة، وطوافه المعتاد ليلا، وذهابه إلى جبل المقطم، ووفاته الغامضة وما نتج عنها من اعتقادات برجعته، وأخيرا خبر عن ثورة الخلافة في عهده.

– أمّا الأخبار التي تضمنها كتاب ابن حمّاد عن باقي الخلفاء الفاطميّين في مصر، فيظهر لي أنّها كانت سطحيّة، أمّا مصادر معلوماته كما ذكرها في القسم الثّاني من الكتاب، والتي أشرت إليها سابقا فهي مؤلّفات وأعمال:

– ابن الرّقيق (القرن5هـ/11م) [35]، خاصّة في كتابه "تاريخ إفريقيّة والمغرب"، والقضاعي (ت454هـ/1062م) [36]، مؤلّف "الشّهاب في تاريخه"، والشّيخ الفقيه أبو الحسن علي بن محمّد بن عثمان التّميمي القلعي[37]، وابن حيّان (ت469هـ/1076م) [38]، وأبي المكارم محمّد هبة الله المصري (ت639هـ/1241م) [39]، الذي اعتمده ابن حمّاد في أخبار الخلفاء الآمر والحافظ[40] والظّافر[41]، وأبي حزم، الذي اعتمده ابن حمّاد في أخبار الظّاهر[42].

و يهمّني من كلّ ما سبق أنّ ابن حمّاد قد حفظ لنا من روايات ابن الرّقيق عن تاريخ إفريقيّة والمغرب في عصر الفاطميّين، قدرا مهمّا يمكن الاطمئنان إليه، ومن دون شكّ يكون قد اطلع على هذا الإنتاج الهامّ وأفاد منه أمثال ابن عذاري[43]، وابن خلدون[44].

الهوامش:

(*) هذا المقال مقتبس من رسالة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة (DEA) في التاريخ الإسلامي قدمتها الطالبة: نشيدة سليماني (رافعي) بعنوان: ابن حماد الصنهاجي وأخبار ملوك بني عبيد دراسة نقدية وتحقيق جديد، تحت إشراف الأستاذ الدكتور، موسى لقبال، جامعة الجزائر، مارس 1979.

1. إنّه موضوع رسالة دكتوراه الدّرجة الثّالثة، نوقشت بجامعة السّربون، 1986م، عنوانها:

Nachida RAFAÏ: « Les Fatimides d'après Ibn Hammàd-as-Sanhàĝi. Etude du texte et traduction commentée d'Akhbàr mulûk banu Ubayd »

2. ينظر إلى عرض كامل للرّسالة قد قدّم في مقال سابق.

3. أشار شربونو بأنّه يملك نسختين من كتاب أخبار ملوك بني عبيد أهداهما إليه طالب من قسنطينة، انظر إلى:

Cherbonneau (M), Sur l'hérétique d'Abou- yazid Mokhaled Ibn Kidad de Tadenket, Y. A, Décembre, 1852, p471.

4. Vonderheyden (M), les Obaididies, Alger, 1927, p 8.

5. لقد توصّلت إلى حقيقة بيع شربونو لنسخ المخطوط التي كانت في حوزته إلى المكتبة الوطنيّة بباريس في مراسلة تمت بيني وبين المكتبة المذكورة بتاريخ 19 ديسمبر 1977م.

6. رابح بونار، "مخطوطة تنشر لأوّل مرّة، تاريخ بني حمّاد لسان الدّين ابن الخطيب"، **الأصالة**، عدد 19، مارس– أفريل 1974، ص 89، هامش (1).

7. Fagnan (E), Catalogue général des manuscrits des bibliothèques de France, recueil, 1617 (586), p 449.

8. رابح بونار، "تاريخ بني حمّاد للسان الدّين الخطيب"، **الأصالة**، ص 94، نصّ رقم (5).

9. بلحميسي مولاي، "بجاية في حدائق الكتب"، **الأصالة**، ص 110، نصّ: "دولة المنصور بن النّاصر بن علناس بن حمّاد "لسان الدّين بن الخطيب، أعمال الأعلام"، ص 97.

10. و المجموع يشتمل على:

أ– ابن حمّاد من 1 إلى 100.

ب– توشيح الدّيباج في حلية الابتهاج للقرّافي، وهو عبارة عن تراجم أوّلها ترجمة ابن عاصم الأندلسي من ورقة 102 إلى 127.

ج– نبذة من تاريخ الجزائر لأبي راس محمّد بن أحمد بن عبد القادر الغريسي من ورقة 128 إلى 138.

11. و يبدو أنّها كانت من بين مخلّفات شربونو، رغم أنّني لم أعثر على إمضاءه الشّخصي، مثلما هو موجود في نسختي "ج" تحت رقم 4625، و"هـ" تحت رقم 4615.

12. و المجموع تضمّن:

- قصّة خالد بن سنان العبسي من ورقة 3 إلى ورقة 11.
- تاريخ بني حفص لابن الشّمّاع من ورقة 42 إلى 91.
- ابن حمّاد، يبدأ من ورقة 12 إلى 38.

13. leir Provençal (E), Arabica, Yanuer, 1954, p 26.
14. Idris (H.R), la Berberie orientale sous les Zirides, Paris, 1959, t 1, p 19.
15. Brokelmann (C), Geschichte des Arabischer litteratur, sufflement band, Loiden, 1938, t2, p 342.

16. الزّركلي (خير الدّين)، الأعلام، ط 1956، ج7، ص 169.

17. أبو العبّاس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني، **عنوان الدّراية فيمن عرف من العلماء في المائة السّابعة ببجاية**، تحقيق: عادل نويهض، بيروت، 1969، وطبعة الجزائر، 1970، تحقيق: رابح بونار، ص 218.

18. عبد الرّحمن بن أحمد الجيلالي، **تاريخ الجزائر العامّ**، الجزائر، 1953، ج1، ص 398.

19. Fagnan (E), Catalogue général des manuscrits des bibliothèques de Frances, recueil, 1588 (9), p 439.

20. جلّول بدوي، "ابن حمّاد الصّنهاجي"، **الأصالة**، مارس 1971، العدد الأوّل، ص 102.

21. ابن حمّاد، خ (أ)، رقم 1588، ورقة 1.

22. نفسه، خ (خ)، رقم 4625، ورقة 12.

23. Cherbonneau (M), J. A, 1855, extrait n° 7, p 1.
24. Cherbonneau (M), J.A, 1852, p 470.

25. ابن حمّاد، المصدر السّابق، خ (د)، رقم 1888، ورقة 34.

26. انظر: Vonderheydeu (M), histoire des Obeidides, p1.

27. ابن حمّاد، المصدر السّابق، خ (هـ)، رقم 4615، ورقة 1.

28. الغبريني، **عنوان الدّراية**، ط 1969، ص 218.

29. حسب الغبريني، في ترجمة لابن حمّاد، فرحل الرّجل من المغرب الأوسط إلى الجزيرة الخضراء ودخل إلى المغرب الأقصى ليتولّى قضاء مدينة سلا سنة (613 هـ/ 1216م)، ثمّ مدينة أزمّور بعد (616 هـ/ 1219م). أنظر: الغبريني، **عنوان**، ط 1969، ص 218.
RED, Idn Hammàd, EI, Paris, 1972, t3, p 805.

30. ابن حمّاد،المصدر السّابق، رقم 1588، ورقة 94.

31. و ذلك أثناء دراسة شخصيّة ابن حمّاد الصّنهاجي.

32. Cherbonneau (M), J.A, année, 1855, extrait, n° 7, p 1, 2.

33. ابن حمّاد، المصدر السّابق، ورقة 1. وأنظر أيضا:

المجيلدي، **الحسبة المذهبيّة**، ص 37، 38، بخصوص الدّوافع على التّأليف.

34. تقي الدّين أحمد بن علي المقريزي، **اتّعاظ الحنفاء بأخبار الأئمّة الفاطميّين الخلفاء**، تحقيق: جمال الدّين الشيال، القاهرة، 1948، وط 1967، ج1، ص 133.

35. ابن حمّاد، المصدر السّابق، خ (أ)، ورقة 70، أخبار العزيز.

36. نفسه، خ (أ)، ورقة 71.

37. نفسه، خ (أ)، ورقة 72.

38. نفسه، خ (أ)، ورقة 87.

39. نفسه، خ (أ)، ورقة 87.

40. نفسه، خ (أ)، ورقة 88.

41. نفسه، خ (أ)، ورقة 89.

42. نفسه، خ (أ)، ورقة 85.

43. ابن عذاري المرّاكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، نشر وتحقيق: أ– ليفي بروفنسال، هولندة، 1948، ج1، ص 43، 56.

44. عبد الرّحمن ابن خلدون، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر**، لبنان، 1959،ج 7، ص 81، 82، وعنوان النّصّ: ملوك طرابلس من بني خزرون بني فلفل... (من زناته).

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر:

1. ابن حمّاد (أبو عبد الله محمّد بن علي الصّنهاجي) ت: 628 هـ/ 1231م، **أخبار ملوك بني عبيد**، مخطوط بالمكتبة الوطنيّة الجزائريّة، رقم 1588.

2. ابن خلدون (عبد الرّحمن) ت 808 هـ/ 1406م، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر**، لبنان، 1958، ج4، لبنان، 1959، ج 6، 7.

3. ابن عذاري (أبو عبد الله محمّد المرّاكشي) ت: نحو 712 هـ/ 1312م، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ومراجعة: س. كولان وليفي بروفنسال، هولندا، 1948، ج1.

4. الغبريني (أبو العبّاس أحمد بن أحمد بن عبد الله) ت: 704 هـ/ 1304م، **عنوان الدّراية فيمن عرف من العلماء في المائة السّابعة ببجاية**، تحقيق: عادل نويهض، بيروت، 1969، وطبعة الجزائر، 1970، تحقيق: رابح بونار.

5. المجليدي (أحمد بن سعيد) ت: 1094 هـ/ 1682م، **كتاب التيسير في أحكام التّسعير**، تقديم وتحقيق: موسى لقبال، الجزائر، 1970.

6. المقريزي (تقي الدّين أحمد بن علي) ت: 845 هـ/ 1442م، **اتّعاظ الحنفاء بأخبار الأئمّة الفاطميّين الخلفاء**، تحقيق: جمال الدّين الشيال، القاهرة، 1948، وط 1967، ج1، ط 1971، ج2.

ثانيا: المراجع:

أ. باللّغة العربيّة:

1. بدوي (جلول)، "ابن حمّاد الصّنهاجي"، **الأصالة**، العدد الأوّل، مارس 1971.

2. بلحميسي (مولاي)، "بجاية في حدائق الكتب"، **الأصالة**، عدد 19، مارس أفريل 1974.

3. بونار (رابح)، "مخطوطة تنشر لأوّل مرّة، تاريخ بني حمّاد للسان الدّين بن الخطيب"، **الأصالة**، عدد 19، مارس، أفريل 1974.

4. الجيلالي (عبد الرّحمن بن أحمد) ت: 1431 هـ/ 2010م، **تاريخ الجزائر العامّ**، الجزائر، 1953، ج 1.

5. الزركلي (خير الدّين)، **الأعلام**، ط 1956، ج 7، والمستدرك، ط 1956، ج 10.

6. سليماني نشيدة (رافعي)، **ابن حماد الصنهاجي وأخبار ملوك بني عبيد دراسة نقدية وتحقيق جديد**، تحت إشراف الأستاذ الدكتور، موسى لقبال، رسالة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة (DEA) في التاريخ الإسلامي، جامعة الجزائر، مارس 1979.

ب. باللّغة الأجنبيّة:

1. Cherbonneau (M), Sur l'hérétique d'Abou- yazid Mokhaled Ibn Kidad de Tadenket, Y. A, Décembre, 1852.
2. Cherbonneau (M), J.A, Année, 1855, extrait, n° 7
3. RED, Idn Hammadu, EI, Paris, 1972.
4. Vonderheyden (M), les Obaididies, Alger, 1927.
5. Vonderheydeu (M), histoire des Obeidides, Alger, 1927.
6. Fagnan (E), Catalogue général des manuscrits des bibliothèques de France, Recueil, 1617.
7. leir Provençal (E), Arabica, Yanuer, 1954.
8. Idris (H.R), la Berberie orientale sous les Zirides, Paris, 1959, t 1.
9. Brokelmann (C), Geschichte des Arabischer litteratur, sufflement band, Loiden, 1938, t2.